



أثر مقصود السور في توجيه المتشابه اللفظي عند

البقاعي في تفسيره: (نظم الدرر)

The effect of the purpose of the surah in directing the verbal similarities according to Al-Buqa'i in his interpretation:
(Nazum al-Durar)

إعداد

رشا محمد ناصر الناكبي

Rasha Muhammad Nasser Al-Nakhebi

جامعة الملك سعود- كلية التربية - قسم التفسير

Doi: 10.21608/jasis.2024.342519

٢٠٢٣ / ١٢ / ٢٢

استلام البحث

٢٠٢٤ / ١ / ٧

قبول البحث

الناكبي، رشا محمد ناصر (٢٠٢٤). أثر مقصود السور في توجيه المتشابه اللفظي عند البقاعي في تفسيره: (نظم الدرر). *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨ (٢٧)، فبراير، ١٨٧ - ٢٢٢.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

أثر مقصود السور في توجيه المتشابه اللفظي عند البقاعي في تفسيره: (نظم الدرر)

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة أثر مقصود السورة في توجيه المتشابه اللفظي عند الإمام البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) في تفسيره المسمى: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وقد حفل تفسير البقاعي بتوجيه الآيات المتشابهة لفظياً خلال سعيه في البحث عن المناسبات حيث بلغت المواضع المتشابهة التي وجهها أكثر من مائتي موضعاً، وارتكز البقاعي على أسس متعددة في توجيه المتشابه اللفظي منها مقصود السورة الذي يذكره قبل الشروع بتفسير كل سورة، فقد عني بالنظر إليه خلال توجيه الآيات المتشابهة لفظاً في العديد من المواضع التي اهتم بتوجيهها سواء كان ذلك الاختلاف الذي وقع بين الآيات من الاختلاف في الحذف والذكر، أو الإبدال أو التغيير في بنية الكلمة، أو التقديم والتأخير، وسواء وقع ذلك الاختلاف في الحروف أو المفردات أو التراكيب، وقد بدأت هذه الدراسة بتمهيد موجز تناولت فيه التعريف بالبقاعي واسمه ونسبه ومولده وشيوخه وتلامذته ومصنفاته ووفاته، ثم التعريف بتفسيره، وأسمائه، وعلاقة تلك الأسماء بما حوى عليه التفسير، والباعث على تأليفه، وزمن تأليفه، ثم بينت الدراسة معنى توجيه المتشابه اللفظي في اللغة والاصطلاح عند العلماء المتقدمين والمعاصرين، ومعنى مقصد السورة، وذكرت العلاقة بين توجيه المتشابه اللفظي ومقصد السورة في تفسير البقاعي، ثم استشهدت الدراسة على أمثلة متنوعة للمتشابه اللفظي اعتمد فيها على مقصود السورة رتبها الباحثة على أوجه الاختلاف التي تقع بين المتشابه اللفظي، واستخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية : مقاصد السور، التوجيه، المتشابه اللفظي في القرآن، تفسير البقاعي، أغراض السور.

Abstract:

This study deals with the effect of the purpose of the surah in directing the verbally similar verses according to Imam Al-Buqa'i (d. 885 AH) in his interpretation called: (Nazum Al-Durar fi Tanasob Al-Ayat wa Al-Sowar). Al-Buqa'i's interpretation was full of directing the verbally similar verses during his effort to search for occasions where he reached the similar places that He directed it in more than two hundred

places, and Al-Buqa'i relied on multiple foundations in directing verbal similarities, including the purpose of the surah, which he mentioned before starting to interpret each surah. He meant to look at it while directing verbally similar verses in many of the places that he was interested in directing, whether that was the difference that occurred between the verses from the difference in deletion and mention, or substitution or change in the structure of the word, or precedence and delay, whether that difference occurred in letters, vocabulary, or structures. This study started with a brief introduction in which it dealt with introducing Al-Buqa'i, his name, lineage, birth, sheikhs, students, works, and death, and then introducing his interpretation and its names, and the relationship of those names to what the interpretation contained, the motivation for its composition, and the time of its composition. Then, the study showed the meaning of directing verbal analogies in language and terminology according to ancient and contemporary scholars, and the meaning of the purpose of the Surah, and mentioned the relationship between directing verbal similarities and the purpose of the Surah in Al-Buqa'i's interpretation. Then, the study cited various examples of verbal similarity in which the purpose of the surah was based on the researcher's order based on the differences that occur between the verbal similarity. The researcher used the inductive method and the analytical method in this study.

Keywords: purposes of the surahs, guidance, verbal similarity in the Qur'an, interpretation of Al-Buqa'i, purposes of the surahs.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، حمداً الشاكرين، حمداً لا ينتهي أمد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإن علم التشابه اللفظي وتوجيهه من العلوم التي تظهر بلاغة القرآن وإعجازه البياني، وقد كان الإمام البقاعي ممن اعتنى بهذا العلم حيث وجه في تفسير

ما يربو على مائتي موضعًا من الآيات المتشابهة لفظيًا، وقد اعتمد البقاعي في توجيه المتشابه اللفظي على أسس متعددة منها: مقصد السورة الذي حرص على بيانه قبل الشروع في تفسير كل سورة.

من هذا المنطلق يهدف البحث للإجابة عن السؤال الرئيس لها :

كيف وظّف البقاعي مقصد السورة في توجيه المتشابه اللفظي من خلال تفسيره نظم الدرر؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

- ١- ماهو مقصود السور؟ وما هو المتشابه اللفظي؟
 - ٢- ما أثر مقصود السور في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند البقاعي؟
- أهمية البحث:**

١. تناولها للمتشابه اللفظي الذي يشغل حيزًا من كتاب الله، ويمثل أحد أوجه الإعجاز البياني.
٢. إنّ جمع توجيهات البقاعي لمواضع المتشابه اللفظي ودراستها يفيد المتخصصين في مجال التفسير وطلبة العلم عامة.
٣. يساهم هذا الموضوع بإثراء الدراسات القرآنية في مجال المتشابه اللفظي، وهو يضم بين ثناياه دراسة تطبيقية نظرية.
٤. إنّ تسليط الضوء على علاقة مقصد السور بتوجيه المتشابه اللفظي عند البقاعي في تفسيره فيه إضافة علمية للمكتبة الإسلامية، وإبراز جهد أحد علماء التفسير في هذا المجال يُرجى منه الإسهام في تحقيق هذا النفع وفتح آفاق في دراسة المتشابه اللفظي.

أهداف البحث :

- ١- بيان المراد بمقصد السور، والمتشابه اللفظي، وبيان العلاقة بينهما.
- ٢- إبراز أثر مقصد السورة في توجيه المتشابه اللفظي عند البقاعي في تفسيره.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة استعمال المناهج الآتية:

- ١ - المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء الآيات المتشابهة التي اعتمد البقاعي على مقصد السورة في توجيهها.
- ٢ - المنهج التحليلي، لتحليل الآيات موضع الدراسة وتحليل توجيه البقاعي لها لبيان أثر توظيف مقصد السورة في توجيه المتشابه اللفظي.

الدراسات السابقة:

لم أقف -على حدّ علمي وإطلاعي- على دراسة علمية متخصصة تناولت أثر مقصود السور في توجيه المتشابه اللفظي عند البقاعي في تفسيره: (نظم الدرر)، لكن هناك دراسات تناولت المتشابه اللفظي من نواحٍ أخرى. ومن هذه الدراسات:

- ١- أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي في الذكر والحذف عند الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر": هيثم سليمان الدهون، ود. عبد الله أحمد الزيوت، من الجامعة الأردنية، بحث محكم في مجلة الجامعة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد: ٢٧، العدد: ٤، ٢٠١٨م. يقع هذا البحث في ٢٥ صفحة وتضمن هذا البحث نوعاً واحداً فقط من أنواع المتشابه اللفظي، كما أنه لم يورد جميع مواطن الحذف والذكر عند البقاعي، وقد هدف إلى إبراز أثر دلالة السياق عند البقاعي في المواضع التي تناولها بالدراسة.
- ٢- توجيه البقاعي للاسم الموصول في آيات المتشابه اللفظي- دراسة بلاغية، وهو مشروع بحثي في مرحلة الماجستير بقسم الأدب والبلاغة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، للباحث: محمد الحسيني، وهذه الدراسة نوقشت حديثاً في تاريخ ١٤٤٢/٥/٨هـ، ولم يتسنّ لي الاطلاع عليها، لكن من خلال موضوعها يظهر اختصاصها بالاسم الموصول فقط، وتناولها للبحث من ناحية علم البلاغة، لا من ناحية علوم القرآن والتفسير وهو توجهي في البحث.
- ٣- تعقبات الألوسي على توجيهات الرازي للمتشابه اللفظي في آيات الأمر بدخول القرية: عرض ومناقشة: محمد بن عبد العزيز بن عمر نصيف، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، مجلد ٨، العدد ١٥، ٢٠١٣م. وهي دراسة تطبيقية وقف فيها الباحث مع تعقبات علمية للإمام الألوسي على توجيهات بلاغية للإمام الرازي لبعض الآيات المتشابهة في سورتي البقرة والأعراف، حيث عرض هذه الآيات وناقشها على ضوء ما ذكره غير هذين العالمين الجليلين في الآيات نفسها، وقد خرج البحث بضرورة العناية بآيات المتشابه اللفظي، وإعطائها حقها من الدراسات الأكاديمية. وهذه الدراسة تختلف عما سبقها بتخصصها في النظر لأثر توظيف مقصود السورة عند البقاعي في توجيه المتشابه اللفظي.

خطة البحث:

وتنقسم إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية الدراسة وأهدافها، والمنهج، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، وفيه التعريف بالإمام البقاعي، وتفسيره نظم الدرر.

المبحث الأول: مفهوم عنوان الدراسة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى توجيه المتشابه اللفظي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: التعريف بعلم مقاصد السور.
المطلب الثالث: علاقة علم مقاصد السور بعلم توجيه المتشابه اللفظي.
المبحث الثاني: الآيات المتشابهة التي اعتمد البقاعي على مقصود السورة في توجيهها، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: الآيات المتشابهة المتعلقة بالحذف والذكر.
المطلب الثاني: الآيات المتشابهة المتعلقة بالإبدال.
المطلب الثالث: الآيات المتشابهة المتعلقة بتغير بنية الكلمة.
المطلب الرابع: الآيات المتشابهة المتعلقة بالتقديم والتأخير.
الخاتمة.
المصادر والمراجع .

التمهيد: التعريف بالإمام البقاعي، وتفسيره نظم الدرر. اسمه ونسبه:

إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط -بضم الراء وتخفيف الباء- بن علي بن أبي بكر البقاعي الخرباوي الشافعي نزيل القاهرة ثم دمشق، كنيته: أبو الحسن، ولقبه: برهان الدين، ونسبته: البقاعي والخرباوي.
والرُّباط هو لقب جدّه حسن، رآه شخصٌ من أكابر أقرابه نائماً وهو شاب، وكان طويلاً دقيقاً، فقال له: كأنك (مقاط) وهو عندهم الحبل الصغير، ثم رآه بعدما غلظ، فقال له: صِرْتَ رِبَاطًا، شبهه بالحبل الكبير، وهو في الأصل بكسر الراء، لكنه بضم الراء من لحن العوام.
وهو من قوم يُقال لهم بنو حسن، وحسن هذا له ثلاثة أولاد: يونس، وعلي، ومكي، وأعقب كل منهم خلائق حتى صار بنو حسن ثلاثة أبطن: بني يوسف، وبني علي، وبني مكي، وتفرّقوا بين البلاد، والبقاعي من بني مكي، لكنّه لم يعرف ما بعد أبي بكر من نسبه حتى يتصل ذلك بحسن، ولم يعرف أيضاً ما بعد حسن، لكن قال له شخص من أهل بلدهم إنهم ينسبون لسعد بن أبي وقاص الزهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأن عندهم نسبة شاهدة بذلك^(١).

(١) يُنظر: عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، البقاعي (٦١/٢)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي (١/ ١٠١)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي (٢٤).

مولده: وُلد سنة تسع وثمانمائة بقرية خربة روحا من قرى البقاع^(٢) الغربي من قضاء راشيا الوادي.

شيوخه: تتلمذ البقاعي على كثير من علماء عصره، ومن أبرزهم:

١- الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، أبو الفضل الكناني العسقلاني، مات سنة ٨٥٢ هـ^(٣) أخذ البقاعي عنه الحديث^(٤).

٢- تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبه، (ت: ٨٥١ هـ)، أخذ البقاعي عنه الفقه^(٥).

٣- الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، المعروف بابن الجزري الشافعي، مُقرئ الممالك الإسلامية، توفي سنة ٨٣٣ هـ^(٦)، تلا عليه البقاعي بالعشر، وحفظ منظومته (طبية النشر في القراءات العشر)، وعرض عليه، وأجاز له قراءة ما قرأه عليه من القراءات وأقرأ جميع ما يجوز له وعنه روايته^(٧).

٤- محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد بن حسن ابن عبد المحسن أبو الفضل المشدالي، توفي سنة أربع وستين وثمان مائة، وصفه البقاعي في مقدمة تفسيره نظم الدرر ب: (الشيخ الإمام المُحقق علامة الزمان)، وذكر أنه الذي أرشده إلى القاعدة الكلية في معرفة المناسبات بين الآيات والسور^(٨).

(٢) «جمع بقعة: موضع يقال له بقاع كلب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة نميرة، وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل، يقال لهذه العين: عين الجرّ، وبالبقاع هذه قبر إلياس النبي، ﷺ، وفي ديوان الأدب للغوري: بقاع أرض بوزن قطام». معجم البلدان، الحموي (١/ ٤٧٠).

(٣) عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، البقاعي (١/ ١١٥ وما بعدها)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي (٢/ ٣٦-٤٠)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني (١/ ٨٧-٩٢).

(٤) نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي (٢٤).

(٥) نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي (٢٤)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني (١/ ١٦٤).

(٦) شذرات الذهب، الحنبلي (٩/ ٢٩٨).

(٧) عنوان الزمان، البقاعي (٢/ ٦٢).

(٨) يُنظر: نظم الدرر، البقاعي (١/ ١٧-١٨)، الضوء اللامع، السخاوي (٩/ ١٨٠-١٨٨)، نظم العقيان، السيوطي (١٦٠)، البدر الطالع، الشوكاني (٢/ ٢٤٧-٢٤٩).

٥- محمد بن بهادر بن عبد الله، التاج الجلال الدمشقي الشافعي سبط فتح الدين بن الشهيد، أخذ البقاعي عنه الفقه والنحو والتصريف، توفي عام (٥٨٣١هـ)^(٩).

ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على البقاعي، واعترفوا بمكانته العلمية ونباهته، ومن أبرز ما قيل في الثناء عليه:

- قال عنه ابن إياس: «كان عالماً فاضلاً محدثاً ماهراً في الحديث»^(١٠).

- قال عنه السيوطي: «العلامة المحدث الحافظ، .. مهر وبرع في الفنون ودأب في الحديث»^(١١).

- قال عنه ابن العماد الحنبلي: «المحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ، .. أخذ عن أساطين عصره، وبرع، وتميز، وناظر وانتقد حتى على شيوخه، وصنف تصانيف عديدة، من أجلها: المناسبات القرآنية .. وبالجمله فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته»^(١٢).

تلامذته: للبقاعي طلابٌ كثيرون أخذوا عنه وتأثروا بعلمه، ومنهم:

١- محيي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد ب النعمي الدمشقي الشافعي، الشيخ العلامة الرحلة، مؤرخ دمشق، وأحد محدثيها، قرأ على البرهان البقاعي مصنفه المسمى ب «الأيدان»، وأجاز له به، وبما يجوز له وعنه روايته، توفي سنة ٩٢٧هـ^(١٣).

٢- أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن زهير الشهاب الرملي ثم الدمشقي الشافعي المقرئ الشاعر، إمام مقصورة جامع بني أمية، لازم البقاعي حين إقامته بدمشق حتى أخذ عنه في ألفية الحديث وغيرها بل كتب من مناسباته قطعة وسمعتها، توفي سنة ٩٣٤هـ^(١٤).

(٩) يُنظر: عنوان الزمان، البقاعي (٦١/٢-٦٢)، الضوء اللامع، السخاوي (٧/ ٢٠٥)، شذرات الذهب، الحنبلي (٩/ ٢٨٦).

(١٠) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس (٣/ ١٦٩).

(١١) نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي (٢٤).

(١٢) شذرات الذهب، الحنبلي (٩/ ٥٠٩-٥١٠).

(١٣) يُنظر: الضوء اللامع، السخاوي (٤/ ٢٩٢)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة،

الغزي (١/ ٢٥١)، شذرات الذهب، الحنبلي (١٠/ ٢١٠).

(١٤) الضوء اللامع، السخاوي (١/ ٢٢١).

٣- أحمد بن علي بن حسين بن علي بن يوسف الشهاب الدمياطي، ويُعرف بالأشموني، أخذ عن البقاعي وتزايد اختصاصه به بحيث كان يرسل إليه ببعض تصانيفه، توفي سنة ٨٩٠هـ^(١٥).

٤- حسن بن علي بن يوسف بن المختار، الشيخ الإمام شيخ الإسلام بدر الدين الإربلي الأصل، والحصكفي، الحلبي، الشافعي، الشهير بابن السيوفي، أخذ عن البقاعي سنة ٨٨١هـ، وأجازه بالإفتاء والتدريس جماعة، وصار أعجوبة زمانه، وواسطة عقد أقرانه، ثم تصدر ببلده للإفادة، وانتفع الناس بتدريسه وإفادته، توفي عام ٩٢٥هـ^(١٦).

٥- محمد بن محمد الغزي، القاضي رضي الدين أبو الفضل بن رضي الدين، أخذ الحديث وعلومه عن البقاعي، وغالب مؤلفاته كالمناسبات وغيرها، توفي سنة ٩٣٥هـ^(١٧).

٦- يعقوب بن عبد الرحمن المغربي الفاسي المالكي، ويُعرف بابن المعلم اليشفري، لقيه البقاعي وقال عنه: فرأيت إماماً علامةً في غاية من جودة الذهن، وحسن المحاضرة، وجميل السمات والهدى، يعرف كثيراً من العلوم، وأنه حضر مجلسه كثيراً، وسمع عليه في المناسبات، توفي سنة ٨٧٧هـ^(١٨).

مصنفاته: أحاط البقاعي -رحمه الله- بمعارف عصره، ونبغ في كافة العلوم التي كانت سائدة في زمانه، والناظر في تراثه يُدرك أنه أمام شخصية علمية متعددة المواهب في مختلف الجوانب، فقد كان -رحمه الله- مفسراً ومُحدثاً ومؤرخاً وأديباً

وشاعراً، وكانت له مؤلفات في مختلف العلوم والمجالات^(١٩)، فمن مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ودلالة البرهان القويم على تناسب أي القرآن العظيم^(٢٠)، ومساعد النظر للإشراف على مقاصد السور^(٢١)، ومن مؤلفاته في القراءات والتجويد: القول المفيد في أصول التجويد لكتاب ربنا

(١٥) الضوء اللامع، السخاوي (١٨/٢).

(١٦) الكواكب السائرة، الغزي (١/١٨١).

(١٧) المرجع السابق (٤/٢).

(١٨) الضوء اللامع، السخاوي (١٠/٢٨٤).

(١٩) يُنظر: مقدمة تحقيق كتاب مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للمحقق: عبد السميع محمد (١/٦٢).

(٢٠) وهو مختصر لنظم الدرر، وصل فيه البقاعي إلى سورة المائدة ولم يكمله، طُبع في أربع مجلدات بتحقيق الدكتور: أحمد بن فلاح الضبعان، الناشر دار الفاروق بالأردن، ٢٠٢٠م.

(٢١) طُبع الكتاب في ثلاثة أجزاء بتحقيق عبد السميع محمد أحمد حسنين، ونشرته مكتبة المعارف في الرياض ١٤٠٨/١٩٨٧م.

المجيد^(٢٢)، والضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات^(٢٣)، ومن مؤلفاته في الحديث وعلمه: النكت الوافية في شرح الألفية للعراقي^(٢٤)، والإعلام بسن الهجرة إلى الشام^(٢٥)، ومن مؤلفاته في الفقه: الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان^(٢٦)، ومن مؤلفاته في أصول الفقه: شرح جمع الجوامع للسيكي^(٢٧)، ومن مؤلفاته في السيرة: جواهر البحار في نظم سيرة النبي المختار^(٢٨)، والإطلاع على حجة الوداع^(٢٩)، ومن مؤلفاته في العقيدة: النكت والفوائد على شرح العقائد لسعد الدين التفتازاني^(٣٠)، وتحذير العباد من أهل العناد ببذعة الاتحاد^(٣١)، ومن مؤلفاته في التاريخ وتاريخ الرجال: إظهار

(٢٢) طُبِعَ الكتاب بتحقيق خير الله الشريف، ونشرته دار البشائر الإسلامية ببيروت، عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. يُنظر: كشف الظنون، حاجي خليفة (١٣٦٥/٢)، فهرست مصنفات البقاعي (٧٨)-(١٢٧-١٢٨).

(٢٣) طُبِعَ الكتاب بتحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ، ونشرته دار الفكر بدمشق ودار الفكر المعاصر ببيروت سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. يُنظر: فهرس مصنفات البقاعي (١٢٨-١٣١).

(٢٤) طُبِعَ في مجلدين بتحقيق: ماهر ياسين الفحل، ونشرته: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٢٥) طُبِعَ الكتاب بتحقيق محمد مجير الخطيب الحسني عن دار ابن حزم عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. يُنظر: فهرست مصنفات البقاعي (١٩٢-١٩٣).

(٢٦) حَقَّقَهُ مجدي فتحي السيد ونشرته مكتبة الفوائد بالقاهرة عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، فهرست مصنفات البقاعي (١٦٨-١٦٩).

(٢٧) جمع الجوامع مختصر مشهور في أصول الفقه لتاج الدين عبد الوهاب ابن علي السبكي الشافعي (ت ٧٧١هـ)، شرحه كثيرون منهم الجلال المحلي والزركشي والعراقي والبقاعي، كشف الظنون (١/٥٩٦)، فهرست مصنفات البقاعي (٢٠٤).

(٢٨) يُنظر: كشف الظنون، حاجي خليفة (١/٦١٢)، فهرس مصنفات البقاعي (١٣٢-١٣٣).

(٢٩) كشف الظنون (١/٨١)، فهرس مصنفات البقاعي (١٣٤).

(٣٠) كشف الظنون (٢/١١٥٤)، فهرس مصنفات البقاعي (١٤٥-١٤٦). طُبِعَ الكتاب بتحقيق إحسان الطيف أحمد الدوري، ونشرته المكتبة العصرية ببيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٣١) طُبِعَ الكتاب مع كتاب آخر وهو (تنبيه الغبي على كفر ابن عربي) باسم (مصرع التصوف) حققه: عبد الرحمن الوكيل، ونشرته: مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

العصر لأسرار أهل العصر^(٣٢)، وعنوان الزمان في تاريخ الشيوخ والأقران^(٣٣)، ومن مؤلفاته في الشعر: إشعار الواعي بأشعار البقاعي^(٣٤).
وفاته: تُوفي في سنة خمس وثمانين وثمانمائة، ودُفن بالحريرية خارج دمشق من جهة قبر عاتكة^(٣٥).

المطلب الثاني: التعريف بتفسيره: نظم الدرر. مسميات الكتاب:

سمّى البقاعي كتابه بأربعة أسماء: وهي:

- ١ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
- ٢ - فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن.
- ٣ - ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان.
- ٤ - كتاب (لَمَّا).

قال البقاعي في مقدمته: «وسميته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ويُناسب أن يسمى: فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن، وأنسب الأسماء له: ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان^(٣٦).

وذكر الاسم الرابع في خاتمة الكتاب حيث قال: «مسميًا له ب (كتاب لَمَّا)؛ لأن جل مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض حتى أن كل جملة تكون آخذة بحجرة ما أمامها متصلة بها، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسره ولبابه»^(٣٧).

الباعث على تأليف الكتاب:

إنّ باعث البقاعي على تأليف هذا التفسير هو ذكر مناسبات ترتيب الآيات والسور، وقد أشار إلى ذلك في مقدّمة تفسيره، حيث قال: «وبعد: فهذا كتابٌ عجابٌ، رفيع الجنب، في فنٍ ما رأيت من سبقني إليه، ولا عَوَّل ثاقب فكره عليه، أذكر فيه إن

(٣٢) طُبِعَ الكتاب في ثلاثة أجزاء بتحقيق الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي، الناشر: عربية للطباعة والنشر بالقاهرة، عام ١٩٩٢/١٤١٢م. فهرست مصنفات البقاعي (٨٤)، (١٩٠-١٩١).

(٣٣) طُبِعَ الكتاب بتحقيق الدكتور حسن حبشي، ونشرته: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، عام ٢٠٠١/١٤٢٢م.

(٣٤) «وهو ديوان شعر وهو: كثير الأشعار، والجيد من شعره متوسط»، كشف الظنون، حاجي خليفة (٨١/١). ويُنظر: فهرست مصنفات البقاعي (١٨٨).

(٣٥) الضوء اللامع، السخاوي (١٠٧/١)، البدر الطالع، الشوكاني (٢١/١).

(٣٦) نظم الدرر، البقاعي (٥/١).

(٣٧) المرجع السابق (٤٤٦/٢٢).

شاء الله مناسبات ترتيب السور والآيات، أطلّت فيه التدبر، وأنعمت فيه التفكير لآيات الكتاب؛ امتثالاً لقوله تعالى: {لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩] ...»^(٣٨).
علاقة تسمية الكتاب بما احتوى عليه:

ممّا سبق يتضح أنّ الاسم الأول الذي اختاره البقاعي هو (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، وأنّ الباعث الرئيس لتأليف الكتاب كان ذكر المناسبات بين الآيات والسور، ومن خلال العنوان يظهر تأثر البقاعي بعلم البلاغة من خلال اختيار لفظ (النظم) الذي يعني عند البلاغيين: وضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو، والعمل على قوانينه وأصوله، ومعرفة مناهجه التي تُهَجَّت وحفظ رسومه التي رُسِمَتْ له^(٣٩)، ويتبين أن البقاعي ميّز بين النظم والتناسب، حيث جعل ما في الدر نظاماً، وما في الآيات والسور تناسباً، وبالتالي كأنّ عنوان كتابه أشار إلى مصطلحين:

١- النظم التركيبي الذي يصب اهتمامه على الجملة المفردة سواء كان ذلك في ركنيها الأساسيين أم في متعلقاتها وإن كثرت، وعليه كل من سمع القرآن يحصل له عند سماعه كما يقول البقاعي: «روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط لا تحصل له عند سماع غيره»^(٤٠)، وكأن سهولة النظم التركيبي تكمن في وضوحه وجلائه.

٢- النظم الترتيبي، وهو: نظم كل جملة مع ما قبلها وما بعدها ارتباطاً كلحمة النسب، وتأخياً تاماً، بحيث تكون كل واحدة متمكنة في مكانها ومتعلقة بما قبلها وما بعدها، متصلة بهما^(٤١).

وقد بيّن البقاعي ذلك في مقدمته حيث قال: « وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنّه يكشف أن للإعجاز طريقتين: أحدهما نظم كل جملة حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً، فإنّ كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، وكلّما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عبر الفطن من ذلك تأمل إلى ربط كل جملة بما تلتها وما تلاها خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض، متناوية القصد، فظنّ أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط، ربما شككه ذلك بكثير، وزلزل إيمانه، وزحزح يقينه، وربما وقف مكيس من أذكياء المخالفين عن الدخول في هذا الدين بعد ما

(٣٨) المرجع السابق (٢/١).

(٣٩) يُنظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني (٨١).

(٤٠) نظم الدرر، البقاعي (١١/١).

(٤١) التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، دراسة بلاغية، مشهور مشاهرة (٣٨).

وضحت له دلالة، وبرزت له من حبالها دقائقه ... فإذا استعان بالله وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز، والوثوق بأنه في الذروة من أحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ؛ لكونه كلاماً مَنْ جَلَّ عن شوائب النقص، وحاز صفات الكمال إيماناً بالغيب وتصديقاً للرب.. فانفتح له ذلك الباب..، ورأى أن المقصود بالترتيب معانٍ جليلة الوصف بديعة الرصف عالية الأمر عظيمة القدر...»^(٤٢)

وخلاصة ما تقدّم أن البقاعي ميّز بين مصطلحي النظم والتناسب، وأشار إلى أن النظم الترتيبي أعلى وأشدّ تعقيداً من النظم التركيبي، فالنظم الترتيبي عنده هو الذي تتباين فيه الرتب ويقع فيه الاستباق والتناضل، ويعظم فيه التفاوت والتفاضل^(٤٣).

وبذلك يتضح أن النظم الذي أراده من تسمية الكتاب هو النظم الترتيبي، والدرر وصف للآيات المنظومة وتشبيه لها بالعقد بالمنظوم، وبيان روعة وجمال هذا العقد المنظوم يتحقق بإبراز أسباب توالي السور والآيات والجمل والكلمات المنظومة وفق هذا الترتيب وهو ما سعى إليه بالبحث عن التناسب.

هذا فيما يتعلق بالاسم الأول والرئيس الذي سمى كتابه به، لكننا نجد أن البقاعي استدرك بالاسم الثالث الذي سمى الكتاب به حين قال: «وأنسب الأسماء له: ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان»^(٤٤)، ووجه ذلك أنه أعطى المسمى حقه في المطابقة؛ لأن الاسمين الآخرين يشعران بقصر موضوع الكتاب على المناسبات القرآنية بين الآيات والسور، ولكن الكتاب لم يقتصر فقط على المناسبات، فهو يشمل تفسير القرآن أولاً ثم إبداء المناسبات تالياً، فناسب أن يكون ترجمان القرآن الدال على اشتماله للتفسير في صدر تسميته؛ لبيان محتوى الكتاب الأصيل وهو التفسير، ثم يأتي عجز العنوان للدلالة على سعي الكتاب في الكشف عن المناسبات^(٤٥).

زمن تأليف الكتاب

ذكر البقاعي في خاتمة نظم الدرر زمن تأليفه له، فقال: «فرغته في المسودة يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة خمس وسبعين وثمانمائة، بمسجدي من رحبة باب العيد بالقاهرة المغربية، وكان ابتدائي فيه في شعبان سنة إحدى وستين، فتلك أربع عشرة سنة كاملة، وفرغته في هذه المبيضة عصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة، بمنزلي الملاصق للمدرسة البادرية من دمشق، فتلك اثنتان

(٤٢) نظم الدرر، البقاعي (١٠-١٢).

(٤٣) يُنظر: التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، دراسة بلاغية، مشهور مشاهرة (٤١).

(٤٤) نظم الدرر، البقاعي (٥/١).

(٤٥) يُنظر: الاتجاه الصوفي عند أئمة التفسير القرآني، جودة المهدي (٢٢٣).

وعشرون سنة بعدد سني النبوة الزاهرة الأنيسة العلية الطاهرة المباركة الزكية، ولولا معونة الله أضحى معدومًا، أو ناقصًا مخرومًا»^(٤٦).

المطلب الأول: تعريف توجيه المتشابه اللفظي.

يتكوّن مصطلح توجيه المتشابه اللفظي من ثلاث كلمات هي: التوجيه، والمتشابه، واللفظي، وسأتناول دراسة المعنى اللغوي لكلٍ منها ثم أبين المعنى الاصطلاحي.

أولاً: بيان المعاني اللغوية:

أ- التوجيه في اللغة: التوجيه لغة مصدر (وَجَّهَ)، الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقابلةٍ لشيءٍ. والوجه مستقبل لكل شيء. يقال وجه الرجل وغيره. وربما عبّر عن الذات بالوجه، وتقول: وجهي إليك. وواجهت فلانًا: جعلت وجهي تلقاء وجهه، ومن الباب قولهم: هو وجهه بين الجاه والجاه مقلوب. والوجهة: كل موضع استقبلته. قال الله تعالى: {وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ} [البقرة: ١٤٨]. ووجهت الشيء: جعلته على جهة. والتوجيه: أن تحفر تحت القنطرة أو البطيخة ثم تضجعها. وتوجه الشيخ: ولى وأدير، كأنه أقبل بوجهه على الآخر^(٤٧)، ويُقال: خرج القوم فوجهوا للناس الطريق توجيهًا، إذا وطئوه وسلّكوه حتّى استبان أثرُ الطريق لمن يسلكه. ويُقال: وجهت فلانًا: ضربت وجهه فهو موجه^(٤٨)، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به، ووجه القوم: سادتهم، واحدٌ وجه، وكذلك وجهائهم، واحدٌ وجه. وصرف الشيء عن وجهه أي سننه. وجهة الأمر وجهته ووجهته وجهته: وجهه^(٤٩). والوجه: النوع والقسم. يقال: الكلام فيه على وجه، وعلى أربعة أوجه. ووجه القرآن: معانيه. والمواجهة: استقبالك الرجل بكلام أو وجه. ورجل ذو وجهين: إذا لقي بخلاف ما في قلبه^(٥٠).

ويمكن تلخيص ما سبق بالقول إن التوجيه في اللغة يعني بيان الوجوه التي يتجه إليها الأمر الذي يحتمل في ذاته وجوهاً من المعاني تختلف باختلاف الوجهة المقصودة منه^(٥١).

ب- المتشابه في اللغة: المتشابه اسم فاعل من التشابه، والتشابه تفاعل من الشبه، قال ابن فارس في معنى الشبه: «(شبه) الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابه

(٤٦) نظم الدرر، البقاعي (٢٢/ ٤٤٣).

(٤٧) مقاييس اللغة، ابن فارس (٦/ ٨٨-٨٩).

(٤٨) تهذيب اللغة، الأزهري (٦/ ١٨٦-١٨٨).

(٤٩) لسان العرب، ابن منظور (١٣/ ٥٥٦).

(٥٠) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (٣٦/ ٥٤٣).

(٥١) يُنظر: توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين، الجبالي (٣١).

الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يُقال: شبه وشبه وشبيه، والشبه من الجواهر: الذي يشبه الذهب، والمشبّهات من الأمور: المشكلات. واشتبّه الأمران، إذا أشكلا»^(٥٢)، وقال الأزهري: «والشَّبّه: ضَرْبٌ مِنَ النَّحَاسِ يُلْقَى عَلَيْهِ دَوَاءٌ فَيَصْفَرُّ، وَسُمِّيَ بِالشَّبّهِ لِأَنَّهُ شَبّهَ بِالذَّهَبِ. وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧]، قيل: معناه يُشَبّه بعضها بعضاً»^(٥٣)، وقال ابن منظور: «والشَّبّهُ والشَّبّهُ والشَّبّهُ: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء: مثله، وأشبه الرجل أمه: وذلك إذا عجز وضعف»^(٥٤)، وقال الجوهري: «والشَّبّهة: الالتباس، وشَبّهة فلان بكذا، والشَّبّهة: التمثيل. وأشَبّهْتُ فلاناً وشَابَهْتُهُ. واشْتَبَهَ عَلَيَّ الشيء»^(٥٥). «وشَبّه عليه الأمر تشبيهاً: لَيْسَ عَلَيْهِ»^(٥٦).

مما سبق يتلخص أن الشَّبّه في اللغة يدلُّ على معنيين:
الأول: التماثل والتساوي.

الثاني: الالتباس والخلط وعدم الوضوح»^(٥٧).

ج- اللفظي في اللغة: اللفظي نسبة إلى اللفظ، واللفظ: واحد الألفاظ، وهو في الأصل مصدر، قال ابن فارس في معنى اللفظ: «(لفظ) اللام والفاء والطاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم. تقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظاً، ولفظت الشيء من فمي، واللافتة: الديك، ويقال الرحي، والبحر»^(٥٨)، والأرض تَلْفُظُ الميت إذا لم تقبله، والبحر يلفظ الشيء، يرمي به إلى السَّاحِلِ، والدُّنْيَا لافِظَةٌ ترمي بمن فيها إلى الآخرة، وكل طائر يَزُنُّ أنثاه، فَهُوَ لافِظَةٌ. وَاللَّفْظُ لَفْظُ الْكَلَامِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨]»^(٥٩).

ثانياً: تعريف توجيه التشابه اللفظي في الاصطلاح.

أ- تعريف التشابه في اصطلاح علوم القرآن:

ينقسم التشابه في علوم القرآن إلى نوعين:

(٥٢) مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٢٤٣).

(٥٣) تهذيب اللغة، الأزهري ت: ٣٧٠هـ (٦/ ٥٨-٥٩).

(٥٤) لسان العرب، ابن منظور (١٣/ ٥٠٣-٥٠٦).

(٥٥) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٦/ ٢٢٣٦).

(٥٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي (١٢٤٧).

(٥٧) للاستزادة: يُنظر: التشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، محمد البركة (٣٣-٣٦).

(٥٨) مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٢٥٩).

(٥٩) تهذيب اللغة، الأزهري (١٤/ ٢٧٣-٢٧٤)، لسان العرب، ابن منظور (٧/ ٤٦١).

الأول: المتشابه المقابل للمحكم: قيل: المتشابه: ما يحتمل وجوهاً، والمحكم: ما يحتمل وجهًا واحدًا^(٦٠)، وقيل: المحكم: ما استقل بنفسه، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره^(٦١).

الثاني: المتشابه اللفظي، وسيأتي التعريف به مفصلاً في العنوان الآتي..

ب- تعريف المتشابه اللفظي في اصطلاح علوم القرآن:

تعريفات العلماء المتقدمين:

١- ذكر الطبري تعريفاً يصلح أن يكون تعريفاً للمتشابه اللفظي حيث قال في بيان الأقوال الواردة في معنى قوله: {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧] «والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني»^(٦٢).

٢- عرّفه الإسكافي: «الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة»^(٦٣).

٣- عرّفه الكرماني في مقدمة كتابه: (البرهان في توجيه متشابه القرآن) بقوله: «الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان»^(٦٤).

٤- عرّفه الزركشي بقوله: «وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة»^(٦٥).

ونقل عنه السيوطي مع إضافة زيادة يسيرة، قال: «إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدماً وفي آخر مؤخراً»^(٦٦).

(٦٠) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٧٠/٢).

(٦١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي (٤/٣).

(٦٢) جامع البيان، الطبري (١٩٧/٥).

(٦٣) درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي (٢١٧/١).

(٦٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن (٦٤).

(٦٥) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١١٢/١).

(٦٦) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي (٣/٣٩٠).

أبرز تعريفات المعاصرين:

- ١- «تشابه آيات القرآن الكريم في الألفاظ والمعاني، بحيث يكون ثمّ تغاير طفيف بين آية وآية، وفق ما يقتضيه السياق والتعبير»^(٦٧).
- ٢- «التكرار اللفظي لجمله أو أكثر بصورة مختلفة»^(٦٨).
- ٣- «ما توارد من الآيات بنوع من التبديل والتغيير في ألفاظها»^(٦٩).
- ٤- «ما أشكل من الآيات المتماثلة لفظاً باتفاق أو مع اختلاف»^(٧٠).

التعريف المختار:

انطلاقاً مما سبق تجدر الإشارة إلى أنّ تعريف التشابه اللفظي يجب أن يُبنى على أساسين هما: التكرير اللفظي للآيات، والاختلاف اللفظي بين المواضع المتكررة^(٧١).

ومن خلال ذلك يمكن القول بأن التشابه اللفظي هو: آيتان فأكثر كرّرت باتفاق بعض تراكيبيها ومفرداتها وحروفها، مع وقوع الاختلاف في بعضها الآخر.

شرح التعريف:

آيتان فأكثر فيه: بيان لعدد ما يقع فيه التشابه اللفظي.
كرّرت: فيه بيان لوقوعها في أكثر من موضع في القرآن.
باتفاق: فيه إشارة لوقوع الاتفاق الذي هو أساس التشابه.
بعض: يخرج ما كان من قبيل التماثل، كتكرار قوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: ١٣]، وقوله: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات: ١٥] وغيرها.
تراكيبيها ومفرداتها وحروفها: يشمل أنواع التشابه اللفظي الذي يقع الاختلاف والتغاير فيه.

مع وقوع الاختلاف في بعضها الآخر: احتراز مُكَمِّل لقولي: (بعض) لإخراج المكرر واشتراط وقوع الاختلاف في التشابه اللفظي.

ج- تعريف توجيه التشابه اللفظي في اصطلاح علوم القرآن.

عرّف الباحثون علم توجيه التشابه اللفظي بعدة تعريفات، منها:

- ١- البحث في أسرار التشابه اللفظي في القرآن، والوقوف على وجوه معانيه في منازل المختلفة^(٧٢).

(٦٧) معجم علوم القرآن، إبراهيم الجرمي (٢٤١).

(٦٨) التشابه اللفظي في القرآن تصانيفه وعلله، باسم الذنبيات (٦).

(٦٩) من بلاغة التشابه اللفظي، محمد الصامل (١٣).

(٧٠) التشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، محمد البركة (٤٤).

(٧١) التشابه اللفظي في القرآن تصانيفه وعلله، باسم الذنبيات (٦).

(٧٢) توجيه التشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين، الجبالي (٤٢).

٢- ذكّر الأسباب والعلل التي من أجلها حدث التغير بين الآيات المتشابهات من سورة لأخرى ومن آية لأخرى^(٧٣). ويمكن القول بأن توجيه المتشابه اللفظي هو: بيان أوجه الاختلاف الواقعة في الآيات المتشابهة لفظيًا.

المطلب الثاني: التعريف بعلم مقاصد السور.

أولاً: تعريف المقصد في اللغة:

قال ابن فارس: «(قَصَدَ) الْقَافُ وَالصَّادُ وَالذَّالُ أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ، يَدُلُّ أَحَدُهَا عَلَى إِنْثَانِ شَيْءٍ وَأَمِّهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اكْتِنَازٍ فِي الشَّيْءِ. فَأَلَّأَصْلُ: قَصَدْتُهُ قَصْدًا وَمَقْصِدًا. وَمِنْ الْبَابِ: أَقْصَدَهُ السَّهْمُ، إِذَا أَصَابَهُ فَقُتِلَ مَكَانَهُ، وَكَانَتْهُ قَبْلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عَنْهُ. وَمِنْهُ: أَقْصَدْتُهُ حَيَّةً، إِذَا قَتَلْتَهُ. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: قَصَدْتُ الشَّيْءَ كَسَرْتُهُ. وَالْقَصْدَةُ: الْقُطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ إِذَا تَكَسَّرَ، وَالْجَمْعُ قَصْدٌ.

وَالْأَصْلُ الثَّلَاثُ: النَّاقَةُ الْقَصِيدُ: الْمُكْتَنَزَةُ الْمُثْمَلَّةُ لَحْمًا»^(٧٤).

و«قَصَدْتُ الشَّيْءَ وَلَهُ وَإِلَيْهِ قَصْدًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ طَلَبْتُهُ بَعِيْنِهِ، وَإِلَيْهِ قَصْدِي وَمَقْصِدِي بِفَتْحِ الصَّادِ، وَاسْمُ الْمَكَانِ يَكْسِرُهَا نَحْوُ: مَقْصِدٍ مُعَيَّنٍ»^(٧٥).

ثانيًا: مفهوم المقصد عند البقاعي:

مقصد السورة هو الموضوع الرئيس لها، ويمكن أن يُعرّف بأنه مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها^(٧٦). وعرفه البقاعي في مقدمة كتابه مساعد النظر بأنه «علم يُعرف منه مقاصد السور»، وذكر أن غايته هي: «معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة»، وذكر أيضًا نوعه ورتبته، قال: «نوعه: التفسير، ورتبته: أوله»، وقال: «فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له، من حيث أنه كالتعريف؛ لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً»^(٧٧).

فعلم مقاصد السور بمنظور البقاعي هو أول ما ينبغي البدء فيه في التفسير إذ هو بمثابة التفسير الإجمالي للسورة.

(٧٣) توجيه المتشابه اللفظي عند ابن عرفة في تفسيره، عايشة الشمراني (٨٠).

(٧٤) مقاييس اللغة، ابن فارس (٩٥/٥).

(٧٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي (٢/٥٠٤).

(٧٦) علم مقاصد السور، وأثره في تدبر القرآن، عبد المحسن المطيري (٨).

(٧٧) مساعد النظر في مقاصد السور، البقاعي (١٥٥).

المطلب الثالث: علاقة علم المقاصد بعلم توجيه التشابه اللفظي:

قال البقاعي في مصاعد النظر شارحاً علاقة مقاصد السور بعلم التشابه اللفظي: «ولأجل اختلاف مقاصد السور تتغير نظوم القصص وألفاظها بحسب الأسلوب المفيد؛ للدلالة على ذلك المقصد».

ومثل على ذلك قائلاً: «مثال: مقصود سورة آل عمران: التوحيد. ومقصود سورة مريم: شمول الرحمة. فبدئت آل عمران بالتوحيد، وختمت بما بني عليه من الصبر، وما معه مما أعظمه التقوى، وكرّر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات، الجامع لجميع الصفات فيها تكريراً لم يكرر في مريم^(٧٨)، فقال في قصة زكريا عليه السلام: {كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران: ٤٠]، وقال في مريم: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً} [مريم: ٩].

وقال في آل عمران في قصة مريم عليها السلام: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ} [آل عمران: ٤٥].

وفي مريم: {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيّاً} (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} [مريم: ١٨-٢١].

وغير ذلك، بعد أن افتتح السورة بذكر الرحمة لعبد من خُلص عباده، وختمها بأن كل من كان على نهجه في الخضوع لله يجعل له وُداً، وأنه سبحانه يَسِّرُ هذا الذكر بلسان أحسن الناس خُلُقاً وخُلُقاً، وأجملهم كلاماً، وأحلاهم نطقاً.

وكرّر الوصف بالرحمن -وما يَقْرُبُ منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى- في أثناء السورة تكريراً يلائم مقصودها، ويثبت قاعدتها وعمودها^(٧٩).

يتلخص ممّا سبق أن البقاعي يرى أن العلم بمقصود السور يُبرز أسباب الاختلاف بين الآيات المتشابهة، فبحسب غرض كل سورة وما دار فيها وما تكرر يقع الاختلاف بين الآيات المتشابهة ليوضح غاية السورة ومقصودها الذي تسعى آياتها لإجلائه.

المبحث الثاني: الآيات المتشابهة التي اعتمد البقاعي في توجيهها على مقصد السورة:

اعتمد البقاعي على مقصد السورة في توجيه أوجه الاختلاف المتعددة في الآيات المتشابهة لفظياً في مواطن متعددة، نذكر منها:

(٧٨) تكرر لفظ الجلالة (الله) في آل عمران ١٠٣ مرات، وفي مريم ٧ مرات.

(٧٩) مصاعد النظر (١٥٢-١٥٣).

المطلب الأول: الآيات المتشابهة المتعلقة بالحذف والذكر:

المراد بالحذف والذكر في باب التشابه اللفظي غير المراد به عند علماء البلاغة الذين يعنون بحذف المسند والمسند إليه وغيره، فالمقصود به هنا ما يكون بين الآيتين من اختلاف بحذف حرف أو كلمة أو جملة في إحداها وذكرها في الأخرى. وفيما يأتي بعض الأمثلة المتعلقة بالحذف والذكر التي ظهر أثر اعتماد البقاعي فيها على مقصود السورة:

١- وقع الاختلاف في حذف وذكر حرف الجر (من) حيث حُذِف حرف الجر {من} في السور الآتية: البقرة، والنحل، والروم، والجن، قوله: {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}، وذكر حرف الجر {من} في سورة العنكبوت في قوله: {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ}.

قال البقاعي في توجيه ذكر الجار في آية الروم {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْطِئُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم: ٢٤]: «ولمّا جعل سبحانه ذلك سبباً لتعقب الحياة، قال: {فَيُخْطِئُ بِهِ} أي الماء النازل من السماء خاصة؛ لأن أكثر الأرض لا تسقى بغيره، {الْأَرْضُ} أي بالنبات الذي هو لها كالروح لجسد الإنسان، ولمّا كانت الأرض ليس لها من ذاتها في الإنبات إلا العدم، وكان إحيائها به متكرراً، فكان كأنه دائم، وكان ذلك أنسب لمقصود السورة حذف الجار قائلاً: {بَعْدَ مَوْتِهَا}»^(٨٠).

يتضح مما سبق أنّ البقاعي نظر للمعنى المتحصل من حذف الجار، وحاول إيجاد علاقة له بمقصود السورة، والمعنى هو أن الأرض ليس لها من ذاتها في الإنبات إلا العدم، وكان إحيائها بالماء متكرراً، فكان كأنه دائم، وكان ذلك أنسب لمقصود السورة، فناسب فيها حذف الجار. والمقصود الذي أقرّه هو: «إثبات الأمر كله، فتأتي الوحداية والقدرة على كل شيء، فيأتي البعث ونصر أوليائه، وخذلان أعدائه»^(٨١).

٢- جاء الأمر بالهبوط في قوله: {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا} في سورة الأعراف دون سورتي الحجر وص. قال تعالى: {قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف: ١٢-١٣]، وقال تعالى: {قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤)} [الحجر: ٣٣-٣٤]، وقال تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ

(٨٠) نظم الدرر، البقاعي (١٥/ ٧٣-٧٤).

(٨١) المرجع السابق (١٥/ ١).

مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) { [ص: ٧٥-٧٧].

قال البقاعي في توجيه آية الأعراف: «وعبر بالهبوط الذي يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج؛ لأن مقصود هذه السورة الإنذار، وهو أدل عليه، وسبب عن أمره بالهبوط الذي معناه النزول والحدور والانحطاط والنقصان والوقوع في شيء منه»^(٨٢). فالبقاعي هنا وجّه ذكر الأمر بالهبوط في الأعراف بناءً على مقصد السورة ودلالة اللفظ، فرأى أن لفظ الهبوط يدل على النزول والانحدار والانحطاط والنقصان وهذه المعاني تتناسب مع مقصد السورة وهو الإنذار.

٣- وقع الاختلاف في حذف الفاء وذكرها حيث حذفت الفاء في قوله: {قَالَ يَا قَوْمِ} في سورة الأعراف وهود، قال تعالى: {وَأِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: {وَأِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ} [هود: ٨٤]. وذكرت في سورة العنكبوت في قوله: {فَقَالَ يَا قَوْمِ}، قال تعالى: {وَأِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ} [العنكبوت: ٣٦].

قال البقاعي في توجيه آية سورة العنكبوت: «ولمّا كان مقصود السورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير فترة، عبر بالفاء، فقال: {فَقَالَ}»^(٨٣). والبقاعي هنا صرّح باعتماده على مقصد السورة، وهو الذي أقرّه في مقدمتها بقوله: «مقصودها الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الله تعالى وحمده من غير فترة»^(٨٤)، فذكر الفاء الذي يفيد التعقيب في هذا الموضع دون غيره يخدم مقصود السورة الذي يوجّه للمسارة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- حذفت شبه الجملة {به} من قوله: {بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} في الأعراف، قال تعالى: {تِلْكَ الْفَرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} [الأعراف: ١٠١]، وذكرت في قوله: {بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ} في يونس، قال تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ} [يونس: ٧٤].

(٨٢) المرجع السابق (٧/ ٣٦٦).

(٨٣) نظم الدرر، البقاعي (١٤/ ٤٣٦).

(٨٤) المرجع السابق (١٤/ ٣٨٤).

قال البقاعي في توجيه آية الأعراف: {كَذَّبُوا} أي به، وحذفها أدل على الزجر من مطلق التكذيب، وأوفق لمقصود السورة^(٨٥). ويتضح من توجيه البقاعي أنه اعتمد على دلالة الحذف البلاغية وهي الزجر، ثم نظر إلى مناسبة الزجر لمقصد السورة وهو «إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب»^(٨٦).

٥- ذكر فاعل القول {فِرْعَوْنُ} في الأعراف، قال تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ} [الأعراف: ١٢٣]، وأضمر ذكره في قوله: {قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ} في طه والشعراء، قال تعالى: {قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ} [طه: ٧١]، وقال تعالى: {قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ} [الشعراء: ٤٩].

قال في تفسيره لآية الأعراف: «فاستأنف الخبر عنه سبحانه بقوله مُصِرّاً باسمه غير مُضمّر له كما في غير هذه السورة؛ لأن مقصود السورة الإنذار، وهو أحسن الناس بالمناداة عليه في ذلك المقام، وقصته مسوفة لبيان فسق الأكثر، وهو أفسق أهل ذلك العصر: {قَالَ فِرْعَوْنُ}».

وقال في تفسيره لآية طه: «وأضمر اسمه هنا ولم يظهره كما في الأعراف؛ لأن مقصود السورة الرفق بالمدعوين والحلم عنهم، وهو غير متأهل لذكر اسمه في هذا المقام: {أَمَنْتُمْ}».

وقال في تفسيره لآية الشعراء: «قال تعالى مخبراً عنه: {قَالَ} من غير ذكر الفاعل - أي فرعون -؛ لعدم اللبس، ومقصود السورة غير مقتض للتصريح كما في الأعراف، بل ملائم للإعراض عنه والإراحة منه، منكرًا مبادراً موهماً؛ لأنه إنما يعاقب على المبادرة بغير إذن، لا على نفس الفعل، وأنه ما غرضه إلا التثبيت؛ ليؤخر بهذا التخيل الناس عن المبادرة بالإيمان إلى وقت ما {أَمَنْتُمْ لَهُ}»^(٨٧).

اعتمد البقاعي على مقاصد السور الثلاثة في توجيهه، فذكر أن التصريح باسمه في الأعراف يلائم مقصود السورة وهو الإنذار، كما أن التصريح بذكره تصريح بفسقه فالقصص التي جاءت في الأعراف ركزت على بيان فسق الأمم المكذبة للرسول، وذلك ظاهر في قوله: {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} [الأعراف: ١٠٢]، أما سورتي طه والشعراء فلم يقتض مقصودها التصريح باسم فرعون حيث لم يتضمن الإنذار كما في الأعراف، قال البقاعي في تقرير مقصود سورة طه: «مقصودها الإعلام بإمهال المدعوين والحلم عنهم والترفق بهم إلى أن

(٨٥) المرجع السابق (٨ / ١٦).

(٨٦) المرجع السابق (٧ / ٣٤٧).

(٨٧) نظم الدرر، البقاعي (٨ / ٣٠)، (١٢ / ٣١١)، (١٤ / ٣٤).

يكونوا أكثر الأمم، زيادة في الشرف داعيهم ﷺ»، وقال في بيان مقصود سورة الشعراء: «مقصودها أن هذا الكتاب بين في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس، ومن ذلك بيان آخر التي قبلها بتفصيلهن وتنزيله على أحوال الأمم وتمثيله، وتسكين أسفه ﷺ خوفاً من أن يعم أمته الهوان بعدم الإيمان»^(٨٨).

٦- حُذِفَ حرف الجر { مِنْ } في النحل في الآية: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا } [النحل: ٧٠]، وذكر في الحج في الآية: { وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } [الحج: ٥].

قال البقاعي في توجيه آية النحل: «ولمّا كان مقصود السورة الدلالة على تمام القدرة وشمول العلم والتنزه عن كل شائبة نقص، وكان السياق هنا لذلك أيضاً بدليل ختم الآية، نزع الخافض للدلالة على استغراق الجهل لزمن ما بعد العلم، فيتصل بالموت، ولا يفع فيه دواء ولا تجدي معه حيلة، فقال: { بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا }»^(٨٩).

اعتمد البقاعي على مقصود سورة النحل، وهو الذي أقرّه في مقدمة تفسيرها بقوله: «مقصودها الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار، منزّه عن شوائب النقص»^(٩٠)، وعلى سياق الآية الذي يثبت علم الله سبحانه وتعالى المتمثل في قوله: { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }، وعلى المعنى الذي يفيد حذف حرف الجر { مِنْ }، إذ يفيد استغراق زمن الجهل إلى ما بعد الموت، فالذي يُرد إلى أَرْدَلِ الْعُمُر ويصبح جاهلاً بأمور الحياة التي كان يعلمها يستمر جهله إلى موته ولا يعود إليه علمه.

٧- ذكر لفظ (رحمة) مُضَافاً إلى خزائن في قوله: { خَزَائِنَ رَحْمَةِ } في سورتي الإسراء وص في الآيات: { قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ } [الإسراء: ١٠٠]. { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ } [ص: ٩]، وحُذِفَ لفظ (رحمة) في قوله: { خَزَائِنُ رَبِّكَ } في سورة الطور في الآية: { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسْتَطِرُّونَ } [الطور: ٣٧].

وجّه البقاعي سبب حذف لفظ (الرحمة) من موضع سورة الطور، حيث قال في تفسير آية الطور: «{ خَزَائِنُ } ولمّا كان ذكر الرحمة لا يقتضيه مقصود السورة الذي هو العذاب، لم تذكر كما في ص وسبحان، فقيل: { رَبِّكَ }»^(٩١). ويظهر اعتماد

(٨٨) نظم الدرر، البقاعي (٢٥٥/١٢)، (١ / ١٤).

(٨٩) المرجع السابق (٢٠٦ / ١١).

(٩٠) المرجع السابق (١٠١ / ١١).

(٩١) المرجع السابق (٢٨ / ١٩).

البقاعي في توجيه آية الطور على مقصد السورة، فذهب إلى أن حذف لفظ الرحمة يلائم مقصود السورة وهو: «تحقيق وقوع العذاب»^(٩٢).

٨- ذُكرت شبه الجملة: {مِنْ غَمٍّ} في آية الحج دون السجدة، قال تعالى: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [الحج: ٢٢]، وقال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} [السجدة: ٢٠].

قال البقاعي في توجيه آية الحج: «ولمّا كان السياق لخصومة أولياء الله المتصفين بما هو مقصود السورة من التقوى للكفار، المناهدين لها بكل اعتبار، اقتضى ذلك بشارة للأولياء ونذارة للأعداء قوله زيادة على ما في السجدة: {مِنْ غَمٍّ} عظيم لا يعلم قدر عظمه إلا الله»^(٩٣). ويظهر أن البقاعي اعتمد على سياق ومقصود سورة الحج، فسبقها جاء فيه الحديث عن خصومة أولياء الله، ويشير بذلك البقاعي إلى قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} [الحج: ١٩]، وأولياء الله هم المتصفون بالتقوى التي جعلها البقاعي مقصداً للسورة، فجاءت زيادة قوله: {مِنْ غَمٍّ}؛ لتنفيذ البشرى لهؤلاء الأولياء والنذارة لمن خاصمهم.

المطلب الثاني: الآيات المتشابهة المتعلقة بالإبدال:

يأتي التعبير في القرآن الكريم عن المعنى المراد بلفظ معين دون غيره من الألفاظ المرادفة له أو المقاربة في المعنى التي قد يتوهم أنها من الممكن أن تقوم مقامه في أداء المعنى أو تسدّ مسدّه في الوصول إلى الغرض، والمتأمل في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم يجد أن إبدال كلمة بأخرى أمرٌ مقصودٌ قائمٌ على أعلى درجات البلاغة^(٩٤). والمقصود بالإبدال في الآيات المتشابهة: أن تتشابه الآيتان أو أكثر في جملة من الألفاظ أو في معظم ألفاظ الآية، ويقع الاختلاف بينهما في حرف أو كلمة أو تركيب أبداً بغيره في الآية الأخرى المتشابهة. وفيما يأتي بعض الأمثلة المتعلقة بالإبدال التي ظهر أثر اعتماد البقاعي فيها على مقصود السورة:

١- جاء التعبير في سورة البقرة بلفظ {وَالْعَاقِبِينَ}، قال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة: ١٢٥]. وجاء التعبير في سورة الحج بلفظ {وَالْقَائِمِينَ} قال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج: ٢٦].

(٩٢) المرجع السابق (١ / ١٩).

(٩٣) المرجع السابق (٣٠ / ١٣).

(٩٤) يُنظر: بلاغة المتشابه اللفظي في تفسير البحر المحيط، مريم القرشي (١٥٨).

قال البقاعي في تفسيره لآية الحج: «ولمّا تقدّم العكوف فاستغنى عن إعادته، قال: {وَالْقَائِمِينَ} أي حوله تعظيماً لي كما يفعل حول عرشي، أو في الصلاة، ولأنّ العكوف بالقيام أقرب إلى مقصود السورة»^(٩٥).

يشير قول البقاعي: «ولمّا تقدم العكوف فاستغنى عن إعادته» إلى أسلوب بلاغي قرآني هو التفنن في الخطاب القرآني تجنباً للتكرار، وقد نظر أيضاً للعلاقة بين ذكر القيام في سورة الحج ومقصد السورة الذي ذكره في مطلع تفسيرها، وهو: «الحث على التقوى المُعلّية عن دركة الاستحقاق للحكم بالعدل إلى درجة استئصال»^(٩٦) الإنعام بالفضل في يوم الجمع للفصل، وأنسب ما فيها لذلك الحج وهو ظاهر»^(٩٧)، فالجمع ليوم الفصل وشعيرة الحج يشتركان في قيام الناس لهما.

٢- جاء التعبير في قوله: {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} بلفظ الجلالة في سورة الأنعام، قال تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالِ النَّارُ مَتَوَاكُمُ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: ١٢٨]، وجاء التعبير في قوله: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} بلفظ الربوبية في سورة هود، قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٦-١٠٧].

قال في تفسيره لآية سورة الأنعام: «ولمّا كان القصد في هذه السورة إلى إظهار العظمة للغيرة على مقام الإلهية، عبّر بالاسم الأعظم، فقال: {اللَّهُ} أي الذي له رداء الكبر، فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه ولا أن يهيم بذلك، هيهات هيهات! انقطعت دون ذلك الآمال، فطلّت ناكسة أعناق الرجال، وبيده إزار العز، فمن اختلج في سره أن يرفع ناكس عنقه ضربه بمقامع الذل، وأنزله في مهوي الخزي، وقد تقرّر أنّه سبحانه لا يشاء انقطاع شيء من ذلك عنهم في حال من الأحوال، ونطق الكتاب بذلك في صرائح الأقوال، وفي سوقه معلّقاً هكذا مع ما تقدّم زيادة في عذابهم بتعليق رجائهم من انقطاع بلائهم بما لا مطمع فيه»^(٩٨).

(٩٥) نظم الدرر، البقاعي (٣٦ / ١٣).

(٩٦) ذكر محقق الكتاب أنها جاءت في إحدى نسخ المخطوط: (إسهال الإنعام)، وكتب معناها في إحدى هوامش نسخ المخطوط: (أي: التأهيل). نظم الدرر (١ / ١٣).

(٩٧) المرجع السابق.

(٩٨) المرجع السابق (٧ / ٢٦٩).

نظر البقاعي إلى مقصد سورة الأنعام الذي ذكره في مطلع تفسيرها وهو: «الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد»^(٩٩)، حيث رأى مناسبتة للتعبير بلفظ الألوهية في الآية.

٣- جاء التعبير بـ {ثم} في فصلت في قوله: {ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ}، في الآية: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [فصلت: ٥٢]، وجاء التعبير بالواو في الأحقاف في قوله: {وَكَفَرْتُمْ بِهِ} في الآية: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الأحقاف: ١٠].

قال البقاعي في توجيه آية فصلت: «ولمّا كان الكفر به على هذا التقدير في غاية البعد، وكان مقصود السورة دائراً على العلم، نبّه على ذلك بأداة التراخي مع الدلالة على أن ذلك ما كان منهم إلا بعد تأمل طويل؛ فكانوا معاندين حتى نزلوا بالصغير والتصفيق من أعلى رتب الكلام إلى أصوات الحيوانات العجم فقال: {ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ} أي بعد إمعان النظر فيه والتحقق؛ لأنه حق، فكنتم بذلك في شقاق هو في غاية البعد من الملاءمة لمن لم يزل يستعطفكم بجميل أفعاله، ويردكم بجليل أقواله وأمن به غيركم لأنه من عند الله».

وقال في توجيه آية الأحقاف: «ولمّا كان مقصود السورة إنذار الكافرين الذين لا ينظرون في علم، بل شأنهم تغطية المعارف والعلوم، غطّف بالواو الدالة على مطلق الجمع الشامل؛ لمقارنة الأمرين المجموعين من غير مهلة، فيدلّ على الإسراع في الكفر من غير تأمل، قال: {وَكَفَرْتُمْ بِهِ} أي على هذا التقدير»^(١٠٠).

مما سبق يتضح أنّ البقاعي اعتمد على دلالة حرفي العطف وعلى مقصود السورتين، فـ {ثم} تفيد التراخي، ويكون المعنى أنّ كفرهم جاء بعد تأمل ونظر، وقد جاءت في سورة فصلت التي قال عن مقصدها: «مقصودها الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره المحيط بكل شيء قدرة وعلماً من علمه لعباده فشرّعه لهم، فجاءتهم به عنه رسله، وذلك العلم هو الحامل على الإيمان بالله والاستقامة على طاعته المقترن بهما»^(١٠١)، وهذا التأمل والنظر يفيد أن كفرهم كان بعد العلم والتفكير، وهو مناسب لمقصود السورة الذي ذهب إليه. أمّا سورة الأحقاف فجاءت فيها الواو العاطفة التي تدل على مطلق الجمع، وعليه يكون المعنى أنهم أسرعوا في كفرهم من غير تأمل

(٩٩) المرجع السابق (١ / ٧).

(١٠٠) نظم الدرر، البقاعي (١٧ / ٢٢٣-٢٢٤)، (١٨ / ١٣٧).

(١٠١) المرجع السابق (١٧ / ١٣٤).



ونظر، وهو يتناسب مع مقصد السورة الذي أقره في مطلعها بقوله: «مقصودها إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة..»^(١٠٢).

٤- جاء في سورة الروم التعبير بالفعل: {يَرَوْا}، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الروم: ٣٧]. وفي سورة الزمر جاء التعبير بالفعل: {يَعْلَمُوا}، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الزمر: ٥٢].

قال البقاعي في تفسيره لآية الروم: «{أَوَلَمْ يَرَوْا} أي بالمشاهدة والإخبار رؤية متكررة، فاعلموا علماً هو في ثباته كالمشاهد المحسوس، وعبر بالرؤية الصالحة للبصر والبصيرة؛ لأن مقصود السورة إثبات الأمر كله لله، ولا يكفي فيه إلا بذل الجهد وإمعان النظر، والسياق لزم القنوط الذي يكفي في بقية المشاهدة لاختلاف الأحوال، بخلاف الزمر التي مقصودها الدلالة على صدق الوعد الكافي فيه مطلق العلم».

وقال في تفسيره لآية الزمر: «ولمّا كان السياق لنفي العلم عن الأكثر، وكان مقصود السورة بيان أنّه صادق الوعد ومطلق العلم كافٍ فيه، عبّر بالعلم بخلاف ما مضى في الروم، فقال: {يَعْلَمُوا} أي بما رأوا في أعمارهم من التجارب»^(١٠٣).

نظر البقاعي إلى دلالة اللفظين ومقصود وسياق السورتين، فذهب إلى أن لفظ الرؤية أبلغ وأقوى في التعبير من العلم؛ لأنه يستدعي بذل الجهد وإمعان النظر، وقد جاء في السياق المناسب له في الروم وهو ذم القنوط، يشير بهذا المعنى إلى الآية السابقة، وهي قوله تعالى: {وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرَحُّوا بِهَا وَانْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} [الروم: ٣٦]، والمناسب أيضاً لمقصود السورة، وهو: «إثبات الأمر كله، فتأتي الوجدانية والقدرة على كل شيء، فيأتي البعث ونصر أوليائه، وخذلان أعدائه».

أمّا في الزمر فجاء التعبير بلفظ العلم؛ لما تضمنه سياقها من نفي العلم عن الأكثر، ويقصد السياق السابق للآية في قوله تعالى: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٤٩]، كما ناسب أيضاً مقصودها وهو: «الدلالة على أنه سبحانه وتعالى صادق الوعد»^(١٠٤)، فمطلق العلم كافٍ لإثبات صدق وعده سبحانه وتعالى.

(١٠٢) المرجع السابق (١١٨ / ١٨).

(١٠٣) نظم الدرر، البقاعي (٩٦ / ١٥)، (٥٣٢ / ١٦).

(١٠٤) المرجع السابق (١ / ١٥)، (٤٣٦ / ١٦).

المطلب الثالث: الآيات المتشابهة المتعلقة بتغير بنية الكلمة:

التغيير في بنية الكلمة من أوجه الاختلاف الواقعة بين الآيات المتشابهة الاختلاف في صيغ مفرداتها، ويأتي هذا الاختلاف على صور منها: التنوع في التعبير بين اختيار الفعل أو الاسم، والتنوع في التعبير في اختيار صيغة الفعل وزمنه، وتعريف الاسم وتنكيره، والإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، وزيادة حروف في الكلمة، وإظهار بعض حروف الكلمة وإدغامها. وفيما يأتي بعض الأمثلة المتعلقة بتغير بنية الكلمة التي ظهر أثر اعتماد البقاعي فيها على مقصود السورة:

١- جاء التعبير بلفظ {يَتَضَرَّعُونَ} بإظهار التاء في الأنعام، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام: ٤٢]. وجاء التعبير بلفظ {يَتَضَرَّعُونَ} بإدغام التاء في الأعراف، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ} [الأعراف: ٩٤].

قال البقاعي في توجيه آية الأنعام: «{لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} أي ليكون حالهم حال من يرجى خضوعه وتذله على وجه بليغ، بما يرشد إليه - مع صيغة التفعيل - الإظهار، ولأن مقصودها الاستدلال على التوحيد، وعند الكشف للأصول ينبغي الإبلاغ في العبادة - بخلاف ما يأتي في الأعراف-».

وقال في توجيه آية الأعراف: «{لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ} أي ليكون حالهم عند المساءة حال من يرجى تضرعه وتذله وتخضعه لمن لا يكشف ذلك عنه غيره ولو كان التضرع في أدنى المراتب - على ما أشار إليه الإدغام؛ لأن ذلك كافٍ في الإنقاذ من عذاب الإنذار الذي هذه سورتها - بخلاف ما مضى في الأنعام»^(١٠٥).

ويتلخص مما سبق أن البقاعي ذهب إلى أن الإظهار أبلغ في الدلالة، وقد جاء مع سورة الأنعام التي جعل مقصودها «الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد»^(١٠٦)، أما الإدغام فيشير إلى أدنى مراتب التضرع، وقد جاء في سورة الأعراف التي جعل مقصودها: «إنذار من أعرض عما إليه الكتاب»^(١٠٧)، وعلل بذلك لكفاية أدنى التضرع للنجاة من العذاب التي تنذر السورة وقوعه.

٢- جاء الضمير مؤنثاً في قوله: {فَفَقَحْنَا فِيهَا} في الأنبياء، قال تعالى: {وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَقْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٩١]. وجاء مذكراً في التحريم في قوله: {فَفَقَحْنَا فِيهِ}، قال تعالى: {وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ}

(١٠٥) نظم الدرر، البقاعي (٧/ ١١٤)، (٨/ ١٠-١١).

(١٠٦) المرجع السابق (٧/ ١).

(١٠٧) المرجع السابق (٧/ ٣٤٧).

الَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَفَقَحْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتُمْ مِنْ
الْقَانِئِينَ { [التحریم: ۱۲].

قال البقاعي في توجيه آية الأنبياء: «ولعلّه أضاف هنا النفخ إليها، لا إلى فرجها وحده؛ ليفيد أنه مع خلق عيسى عليه السلام به وإفاضة الحياة عليه حساً، ومعنى أحيائها هي به معنى بأن قوى به معانيها القلبية حتى كانت صديقة متأهلة لزواجها بخير البشر في الجنة، وخُصّت هذه السورة بهذا؛ لأنّ مقصودها الدلالة على البعث الذي هو إفاضة الأرواح على الأموات».

وقال في توجيه آية التحريم: «ولمّا كانت هذه السورة لتشريف النبي ﷺ وتكميل نسائه في الدنيا والآخرة، نصّ على المقصود بتذكير الضمير، ولم يؤنثه؛ قطعاً للسان من يقول تعنّت: إن المراد نفخ روحها في جسدها: {فيه} أي فرجها الحقيقي وهو جيبها، وكل جيب يسمى فرجاً، ويدلّ على الأول قراءة {فيها} شاذة»^(۱۰۸).

وتجدر الإشارة إلى وقوع الاختلاف في تفسير هذا الموضع في كتب التفسير^(۱۰۹)، وكلام البقاعي يدلّ على أنّه اختار القول بأنّ النفخ وقع في فرجها الحقيقي، واستدل بتذكير الضمير في التحريم على قوله، وقد ربط اختصاص كل سورة بما جاء فيها من التذكير والتأنيث بمقصودها أو سياقها، فالتأنيث الذي جاء في الأنبياء يتناسب مع مقصود السورة الذي يتحدث عن البعث، لكنّ المعنى الذي ذكره وهو حياة قلبها بهذا النفخ في قوله: «ومعنى أحيائها هي به معنى بأن قوى به معانيها القلبية حتى كانت صديقة متأهلة لزواجها بخير البشر في الجنة» فيه غرابة، فالآية لا تدلّ عليه. وبنى توجيه تذكير الضمير في التحريم على سياقها الذي اشتمل على تشريف النبي ﷺ وتكميل نسائه؛ ليكون أصرح في الدلالة على أن النفخ وقع في فرجها حقيقة لا أن المراد نفخ روحها في جسدها كما ذكر في أقوال أخرى، وهذا الربط فيه بُعد أيضاً.

المطلب الرابع: الآيات المتشابهة المتعلقة بالتقديم والتأخير:

إنّ المراد بالتقديم والتأخير في باب التشابه اللفظي: هو ما يقع بين الآيات المتشابهة في معظم ألفاظها، أو في جملة منها من الاختلاف بتقديم أحد الحروف أو الألفاظ أو التراكيب في آية، وتأخيرها في الآية الأخرى. وفيما يأتي بعض الأمثلة المتعلقة بالتقديم والتأخير التي ظهر أثر اعتماد البقاعي فيها على مقصود السورة:

(۱۰۸) نظم الدرر، البقاعي (۱۲ / ۴۷۱-۴۷۲)، (۲۰ / ۲۱۳).

(۱۰۹) للاستزادة يُنظر: جامع البيان، الطبري (۱۸ / ۵۲۲)، زاد المسير، ابن الجوزي (۴ / ۳۱۲).

١-تقدّمت شبه الجملة {به} على {لغير الله} في قوله: {وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغير الله} في سورة البقرة فقط، قال تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغير الله} [البقرة: ١٧٣]، وتقدّم قوله {لغير الله} على {به} في سورة المائدة والأنعام والنحل. قال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لغير الله به} [المائدة: ٣]، وقال تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَلْهِ لغير الله به} [الأنعام: ١٤٥]، وقال تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لغير الله به} [النحل: ١١٥].

قال البقاعي في توجيه آية النحل: «ولمّا كان مقصود السورة لبيان الكمال، كان تقديم غيره لتقريب حال المعنى به أولى، فقال تعالى: {لغير الله}»^(١١٠).

ويظهر من توجيه البقاعي أنه اعتمد في توجيه آية النحل على مقصود السورة الذي اشتمل على بيان كمال صفات الخالق، وبناءً على المقصود رأى أن غرض التقديم في الآية هو إظهار قبح صرف هذه العبادة لغيره.

٢-تقدّم ذكر اللعب على اللهو في آيتي سورة الأنعام وآية سورة محمد، قال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [الأنعام: ٣٢]، وقال تعالى: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} [الأنعام: ٧٠]. قال تعالى: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [محمد: ٣٦]، وتقدّم ذكر اللهو على اللعب في آية سورة الأعراف والعنكبوت، قال تعالى: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الأعراف: ٥١]، قال تعالى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} [العنكبوت: ٦٤].

قال البقاعي في توجيه آية الأعراف: «{لَهْوًا} أي اشتغالا بما من شأنه أن يغفل وينسى عن كل ما ينفع من الأمور المعجبة للنفس من غير نظرٍ في عاقبة، فجوّزوا من جنس عملهم بأن لم ينظر لهم في إصلاح العاقبة. ولمّا قدّم ما هو أدعى إلى الاجتماع على الباطل الذي هو ضد مقصود السورة من الاجتماع على الجدّ وأدعى إلى الغفلة، وكان من شأن الغفلة عن الخير أن تجرّ إلى استجلاب الأفراح والانهماك في الهوى، حقّق ذلك بقوله: {وَلَعِبًا}».

وقال في توجيه آية العنكبوت: «ولمّا كان مقصود السورة الحث على الجهاد والنهي عن المنكر، وكان في معرض سلب العقل عنهم، قدّم اللهو؛ لأنّ الإعراض عنه يحسم مادة الشر فإنه الباعث عليه، فقال: {إِلَّا لَهْوٌ} أي شيء يلهي عما ينفع {وَلَعِبٌ} يشغل به صبيان العقول، وكل غافل وجهول، فإنّ اللهو كل شيء من شأنه

أن يعجب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء وغيره، فيحصل به فرح وزيادة سرور، فيكون سبباً للغفلة والذهول والنسيان والشغل عن استعمال العقل في اتباع ما ينجي في الآخرة فينشأ عنه ضلال - على ما أشارت إليه آية لقمان: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [لقمان: ٦]، ومنه اللُّعب، وهو فعل ما يزيد النفس في دنياها سروراً كالرقص بعد السماع وينقضي بسرعة؛ لأنه ضد الجد ومثل الهزل، وهو كل شيء سافل، وكل باطل يقصد به زيادة البسط والترويح والتمادي في قطع الزمان فيما يشتهي من غير تعب، واللُّعبة - بالضم: التمثال، وما يلعب به كالشطرنج، والأحمق يسخر به، ولعب لعباً: مرح، وفي الأمر والدين: استخف به»^(١١١).

مما سبق يتضح أنَّ البقاعي وظَّف المعاني اللغوية لكل من اللُّعب واللهو، مع مقاصد السور التي وقعت فيها لتوجيه التشابه في التقديم والتأخير بين الآيات، فعرف اللعب بأنه «فعل ما يزيد سرور النفس على وجه غير مشروع، ويسرع انقضاؤه». وعرف اللهو بأنه «ما من شأنه أن يعجب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء على وجه لم يؤذن فيه». ووجه تقديم اللهو على اللعب في آية الأعراف أن اللهو يحصل فيه الاجتماع على الغفلة وهو ضد مقصود السورة^(١١٢) الذي يدعو إلى الاجتماع على الدين؛ فلذلك قدّمه فيها. وفي سورة العنكبوت جمع في التوجيه بين مقصد السورة والسياق السابق للآية؛ إذ جعل العلاقة بين تقديم اللهو فيها هو مقصد السورة يحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومجيء الآية بعد نفي العقل عنهم فيما سبقها، وذلك في قوله تعالى: {وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: ٦٣]، ووجه الارتباط بين المقصد والسياق وتقديم اللهو في الآية هو أن الإعراض عن اللهو يحسم مادة الشر؛ لأن اللهو باعث إليه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفق وسدّد وأعان، والصلاة والسلام على النبي العدنان،

وبعد:

فيما يأتي أبرز النتائج والتوصيات التي خلص إليها البحث:

النتائج:

١- تمييز البقاعي بالنظر لمقصود السورة في توجيه الآيات المتشابهة.

(١١١) نظم الدرر، البقاعي (٧/ ٤٠٩)، (١٤/ ٤٧٤-٤٧٥).

(١١٢) قال البقاعي: «مقصودها إنذار من أعرض عمّا دعا إليه الكتاب». نظم الدرر، البقاعي (٧/ ٣٤٧).

- ٢- لم يقتصر اهتمام البقاعي في تفسيره على بيان المناسبات من الآيات والسور، فقد اهتم وعني بتوجيه الآيات المتشابهة لفظاً.
- ٣- ارتكز البقاعي على أسس متعددة في توجيه المتشابه اللفظي منها: السياق، ومقصد السورة، واللغة، والبلاغة وغيرها.
- ٤- على الرغم من تميز البقاعي في النظر لمقصد السورة في توجيه المتشابه اللفظي إلا أنه لم يسلم من الوقوع في التكلف في النظر.

التوصيات:

- ١- العناية بالنظر لمقصود السورة لبيان أسباب الاختلاف في الآيات المتشابهة.
- ٢- دراسة أسس وركائز التوجيه عند المفسرين وعلماء توجيه المتشابه.
- ٣- البحث في قواعد توجيه المتشابه اللفظي واستخراجها من خلال النظر في كتب توجيه المتشابه والتفاسير التي عنيت بالتوجيه.

المصادر والمراجع:

- ١- (أسرار التكرار في القرآن) المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥ هـ)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا [ت: ١٤٠٣ هـ]، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.
- ٢- الاتجاه الصوفي عند أئمة تفسير القرآن الكريم، أبو حفص النسفي، الفخر الرازي، القرطبي، البيضاوي، البقاعي، د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي، الدار الجودية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.
- ١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، عدد الأجزاء: ٤.
- ٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس؛ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، أبو البركات، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد المجلدات: ٥، الطبعة الأولى.
- ٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠ هـ)، دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
- ٤- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، عدد الأجزاء: ٤.
- ٥- بلاغة المتشابه اللفظي في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، مريم عبد الله القرشي، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. يوسف الأنصاري، جامعة أم القرى، ١٤٣٢-١٤٣٣ هـ.
- ٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، عدد الأجزاء: ٤٠، أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م).
- ٧- التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، دراسة بلاغية، مشهور موسى مشهور مشاهرة، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د. محمد بركات أبو علي، الجامعة الأردنية، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠١ م.
- ٨- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠ هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٨.

- ٩-توجيه المتشابه اللفظي عند ابن عرفة في تفسيره - جمعاً ودراسة-، عايضة بنت عواض علي الشمراني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م.
- ١٠-توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي، دراسة مقارنة، محمد رجائي الجبالي، رسالة دكتوراه، قسم القرآن والحديث، جامعة ملابا، كوالالمبور، ٢٠١٢.
- ١١-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢٦.
- ١٢-درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى أيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- ١٣- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١ هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
- ١٤- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- ١٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩ هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١١.
- ١٦-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.
- ١٧-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، عدد الأجزاء: ٦.
- ١٨-علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، عبد المحسن بن زبن المطيري، جامعة الكويت.

- ١٩- عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، لإبراهيم حسن البقاعي (ت: ٥٨٨٥هـ)، تحقيق: د. حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١/٥١٤٤٢م.
- ٢٠- فهرست مصنفات البقاعي، د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (٥٧)، الرياض، ٢٠٠٥/٥١٤٢٦م.
- ٢١- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٢٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله، الشهير بـ (حاجي خليفة) وبـ (كاتب جلبي) - [ت: ١٠٦٧ هـ]، غني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه: محمد شرف الدين يالتقاي، المدرس بجامعة إسطنبول - والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول (١٩٤١ م = ١٣٦٠ هـ) - (١٩٤٣ م = ١٣٦٢ هـ)، ، عدد الأجزاء: ٢.
- ٢٤- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: ١٠٦١هـ)، المحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٣.
- ٢٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
- ٢٦- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم تصنيفه وعمله، باسم حسين أحمد الذنيبات، رسالة ماجستير في اللغة والنحو، إشراف: علي الهروط، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤م.
- ٢٧- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، دراسة موضوعية، محمد بن راشد البركة، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، ١٤٢٥هـ.
- ٢٨- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، عدد الأجزاء: ٣.
- ٢٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
- ٣٠- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٧.

- ٣١-معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٣٢-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء: ٦.
- ٣٣-من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد بن علي بن محمد الصامل، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية: الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- ٣٤-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.
- ٣٥-نظم العقيان في أعيان الأعيان، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي [ت: ٩١١ هـ]، حرره: فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك - لصاحبها سلوم مكرزل، الطبعة: ١٩٢٨ م، وصورتها: المكتبة العلمية – بيروت.